روما وسياسات الإصلاح :يوليوس- قيصر أغسطس- ديوقلسيانوس أنموذجا

د. رمضاني أم هاني
قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2
تاريخ الإرسال: 2018-10-26- **تاريخ القبول:** 2018-11-06

ملخص

عرفت روما خلال عهد اوكتافيوس أغسطس فترة استقرارا سياسيا وسلاما أمنيا ومع بداية القرن الثالث الميلادي بدأت مرحلة اللااستقرار وأخذت الأوضاع تتأزم وتتغير في جميع مجالات الحياة، وأمام هذا الوضع المتردي ، قرر ديوقلسيانوس إحداث التيترارشية، والقيام ببعض التعديلات والإصلاحات السياسية، الإدارية، والعسكرية، وشن حملة اضطهاد المسيحيين، ولعل أهم إصلاحاته هي تلك المتعلقة بالمالية والضرائب، فما هي الإصلاحات التي ساهمت في تغيير أوضاع الإمبراطورية الرومانية؟ وما هو دور يوليوس قيصر واوكتافيوس أغسطس في إقامة أركان الإمبراطورية الرومانية؟ وما هي أهم القوانين والإصلاحات التي ساعدت في بلوغ الإمبراطورية أوج قوتها في القرن الثاني الميلادي؟

الكلمات الدالة: روما، يوليوس قيصر،أوكتافيوس أغسطس، ديوقلسيانوس،الإصلاحات السياسية.

Résumé

Sous le règne d'octave Auguste, Rome a connu une stabilité politique et pax romana qui a marqué son histoire. Mais à partir du troisième siècle elle a vécue une instabilité et une transformation radicale dans tous les domaines. Pour faire face à la dégradation la situation provoquée par cette instabilité, Dioclétien instaura le 1er mars 293 le <<tétrarchie>>. Sous sa direction, les tétrarques mettent en œuvre des réformes politiques, administratives et, militaires, et ment des actions de persécutons antichrétienne, ce qui a permis la révision du système fiscale pour sauver l'empire. Quelles sont ces réformes qui ont changé la structure de l'empire romain ? Quel été le rôle

de jules César et Octave Auguste dans la fondation de l'empire ? Comment l'application de ces réformes ont permis l'empire à atteindre l'apogée de son progrès au deuxième siècle ? La réponse à ces questions est l'objet de la présente contribution.

Mots-clés: Rome; jules César Octavius Augustus Dioclétianus réformes politiques

Abstract

In the reign of Octavian Augustus, Rome witnessed political stability and Pax Romana that left a mark on its history. But from the third century Rome suffered from instability and radical transformation in all areas. To deal with the deterioration of the situation resulting from this instability, Diocletian presented on March 1, 293. Under his leadership, "tetrarchy" and carried out political, administrative and military reforms, the measures to persecute the anti-Christian, which led to a review of the tax system and the rescue of the empire. What are these reforms that have changed the structure of the Roman Empire? What was the role of Julius Caesar and Octavian Augustus in the founding of the empire? How did the application of these reforms allow the empire to reach the peak of its progress in the second century? The answer to these questions is the subject of this contribution

Keywords: Rome; Julius Caesar; Octavius Augustus; Diocletian; political reforms

مقدمـة

عرفت روما عدة أزمات سياسية وحروب أهلية في الداخل والخارج عبر مراحلها التاريخية، بداية من النصف الأخير من القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد،أدت إلى فوضى واضطرابات، وانعدام الاستقرار، لسنين طويلة، كما ظهرت أزمة أخرى في القرن الثالث الميلادي، وصلت على إثرها إلى مرحلة الانهيار والضعف في جميع القطاعات الحيوية، وكادت أن تقضي على وجودها لولا ظهور قادة كبار صنعوا الحدث التاريخي،وقاموا بعدة إصلاحات جذرية، بعثت الروح في هذه الدولة الفتية، فأصبحت من أكبر الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم. وكانت إصلاحاتهم نقاط تحول في

تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ومن بين هؤلاء القادة نخص بالذكر كل من القائد يوليوس قيصر(Gaïus Julius Caesar)(44ق.م-100 ق.م)، واوكتافيوسأغسطس، وديوقلسيانوس.

1.إصلاحات يوليوس قيصر

لا يمكننا الحديث عن إصلاحاته دون ذكر ما قيل في هذا القائد العسكري ورجل الدولة:"إن ما من رجل كان نظير له في تصميمه على فرض إرادته على الآخرين، وما من رجل وهبته الطبيعة القدرة على تحقيق أهدافه مثل ما كان عليه الحال عند قيصر"(راديس، 2008).

فمع بداية القرن الأول قبل الميلاد، وبعد هزيمة قرطاجة على يد الرومان أصبح البحر المتوسط بكامله منطقة نفوذ وهيمنة لروما، ومع كل ما سببته هذه التوسعات من ثراء وغنى، إلا أنها بالمقابل انعكست سلبا على الحياة الاجتماعية والسياسية، ولم يعد بمقدور الساسة الرومان حكم هذه الرقعة الواسعة، وفي ظل وجود عدة أزمات أدى ذلك إلى نشوب الحروب الأهلية (88ق.م-45ق.م) بين القادة العسكريين في محاولة إحكامهم على مقاليد الحكم، وبعد ما خرج يوليوس قيصر ظافرا، قام بحركة من الإصلاحات بسبب الأوضاع المتردية، وتتمثل فيما يأتي:

- حول مؤسسات الجمهورية إلى مؤسسات خاضعة لسيطرته المطلقة، كما كانت أعماله تهدف للقضاء على سلطات مجلس الشيوخ والارستقراطيين وتقوية نفوذ الطبقة الشعبية التي يستند إليها في حكمه(Perrain,1997).

-فرض سيطرته على اللجان المئوية والقادة والرؤساء ومجلس الشيوخ بموجب قانون يمنحه سلطة مطلقة، وبالتالي أصبحت انتخابات اللجان المئوية خاضعة لمشيئته فلا يوجد من يرشح نفسه وبقي ينتخب قيصرا وقنصلا لعدة سنوات منذ 47 ق.م، وأصبح مسيطرا على معظم السلطات التشريعية والتنفيذية في روما(أيوب، 1996).

- رفع عدد القضاة من سبعة(7) إلى ستة عشر(16). وضاعف عدد أعضاء "مجلس الشيوخ" من ستمائة (600) إلى تسعمائة(900)، وقام بانتخاب "مجلس الشيوخ" وتقليص مهامه(كحرمانه من النظر في الأمور المالية وحرمانه من حق منح الولايات للقناصل والقضاة السابقين)، وأخذ لنفسه حق تعيين القادة العسكريين.(عكاشة،1991)

-سن القوانين وجمع ما تفرق منها وأصدر تعليماته بأن عضوية مجلس الشيوخ تكون للأكفاء دون غيرهم.

-عدل من شهور السنة فأمر بأن يتبع حساب السنة الشمسية التي عدد أيامها ثلاثمائة وخمسة وستون(365) يوما مع إضافة يوم واحد كل أربع سنوات، كما منح الحقوق السياسية لكثير من المحرومين منها.

- منح حقوق المواطنة الرومانية للأطباء والمدرسين الأجانب، الذين استقروا في روما والولايات الرومانية.

- عالج مشكلة الديون للتخفيف على المدينين من الفقراء سنة 47ق.م، وفرض المكوس الجمركية في الموانئ بعد أن ألغيت في سنة 60 ق.م، كما أرسل 80 ألفا من فقراء روما إلى المقاطعات الرومانية، للتخفيف من العبء على روما، ولإحداث السلم وتحسين وضعية أولئك الفقراء بمنحهم أراض في المستوطنات التي أرسلوا إليها، غير ان سوتيونوس لم يذكر أسماء المقاطعات ولا العدد الذي أرسل لكل مقاطعة(Lassère,2011).

وهكذا أدت أعماله هذه إلى القضاء على النظام الجمهوري وإرساء قواعد وأسس النظام الدكتاتوري، ومهد بذلك الطريق لظهور الإمبراطورية التي أنشأها غايوسوكتافيوس(GaiusOctavius)(27ق.م-14م) فيما بعد.

2. **إصلاحات أغسطس أوكتافيوس**

مهد الإمبراطور أغسطس أوكتافيوس للإصلاحات بعدة إجراءات منها(Roman,1998):

- إعادة الطمأنينة إلى نفوس الناس وإشعارهم بالاستقرار.

- إغداق الهبات والعطايا للشعب وإنشاء الطرق وتشييد المباني العامة ليشعر الناس بأن الأمور قد عادت إلى طبيعتها.فعاد للشعب الأمن والاستقرار والأمل في مستقبل آمن.

ومن إصلاحاته نذكر:

1.2. في المجال السياسي: ورثت الإمبراطورية عن الجمهورية نظامها الطبقي وارتباط الوظيفة السياسية بالطبقة الاجتماعية، وبهذا وضع حكم المواطن الأول (Principatus) حدود الوظائف السياسية لكل طبقة اجتماعية، وللرجل السيناتوس (Senatus) مزايا التمتع بحق الترشح وشغل الوظائف القنصلية، وحكم الولايات الرومانية و شغل الوظائف الإدارية والعسكرية العليا (Magistratus).

أما رجال طبقة الفرسان (Equites)، فقد تمتعوا بوظائف جديدة في مجال الإدارة والشؤون العسكرية وخاصة فيما يخدم المواطن الأول مباشرة، وكان هؤلاء يكونون فريقين فريق الفرسان العسكريين الذين يخدمون في الجيش، وفريق الفرسان التجار ورجال الأعمال(Le glay,2005).

أما أفراد الطبقة الدنيا، فقد فتح أمامها المجال للعمل كجنود وضباط في سلك الجيش، كما سمح لهم بالارتقاء إلى وظائف عليا ولا يهم إن كان عبدا أو حرّا، لأن أغسطس وضع الكفاءة قبل الأصول الاجتماعية.

- طهر مجلس (السيناتوس)(Senatus) من العناصر التي تسللت إليه أثناء الحرب الأهلية،فأصدر سنة 28 ق.م قائمة بأعضاء السيناتوس(Senatus) حذف منها مائتي(200)عضو.كما جاء اسمه كرجل أوللسناتوس (PrincipsSenatus). وتلتها قائمتان تطهيريتان لأعضاء السناتوس في الفترة مابين سنتي 18 - 12 ق.م. ولكي يسيطر أغسطس (Octavius Augustus) على السناتو أمسك بالوظائف المؤدية إلى عضويته، وحرص على أن يترشح لها من رجاله المخلصين من الطبقتين الوسطى والدنيا والفرسان(Salles,1993).

- توطيد حكمه ومركزه السياسي في الدولة كقائد قوي، يسنده جيش قوي، حيث حصل على صلاحيات تربيونية سنة 23 ق.م مدى الحياة، مما يعطيه سلطة مطلقة مثل: حقه في ممارسة صلاحياته خارج مدينة روما، و منذ سنة 27 ق.م لقب إمبراطورا ولبس الثوب الإمبراطوري الأرجواني، وفي سنة 42 ق.م لقب باسم ابن الإله ليقوي علاقاته السياسية مع جنود قيصر، وبذلك أصبح شخصه مقدسا. لا تخرق له حرمه.

- تحويل مجلس الشيوخ السيناتوس(Senatus) إلى محكمة دستورية عليا، يرأس اجتماعاتها القنصلان لمحاكمة مرتكبي المخالفات وخصوصا الخيانة العظمى، وكان الإمبراطور يرجع إلى استشارة السناتوس ومشاركته في الحكم ويتبع أوامره في القضايا الهامة.

- منح الأمان لأصدقاء انطونيوس وأتباعه وإحراق كافة الوثائق التي تدين معارضيه.

2.2. في الجانب العسكري

عندما عاد أغسطس من غزواته في الشرق عام 29ق.م، وجد تحت إمرته جيشا، يكاد يبلغ نصف مليون جندي، فقام بتسريح ثلاثين ألف(30000) جندي وتوطينهم في

مستعمرات أو إرجاعهم إلى مواطنهم، التي جندوا منها، وأصبحت فرق الجيش الروماني تتكون من ثمانية وعشرين(28) فرقة بعد أن كانت ستين(60) فرقة، وقد تفاخر اغسطس (Augustus) بأنه وطن جنوده المسرحين في أرض اشتراها من ماله الخاص(الناصري،2007).

- تخلص من الجند عن طريق إقامة محميات في المناطق الإستراتيجية على طول الإمبراطورية، وأنشأ قاعدتين للأسطول الروماني في كل من: مسينوم (Misenum) ورافنا(Ravenna)، وأنشأ خدمة بريدية عبر الطرق الكبرى، ودفع التعويضات كاملة لجنوده المسرحين.

- بدأ سياسة إسكان أفراد الجيش وأبقى على نظام التطوع في الجيش، وبدأ في اختيار الضباط المدربين المحترفين فرفع بذلك مستوى الضباط كما أبقى على تكوين الجيش من جزئيه التقليديين وهما: الفرق الرومانية(Legiones) والقوات المساعدة(Auxilii)تجند من الشعوب والقبائل غير الرومانية الخاضعة للإمبراطورية وقسمت الى مشاة ووحدات خيالة، وعند تسريح الجنود فيها كانوا يمنحون الجنسية الرومانية لهم ولأسرهم مكافأة لخدمتهم).

كما أضاف إلى الجيش قوة جديدة هي الحرس البرايتورى(Praetoriani) وقسمها إلى تسع وحدات من الخيالة تتكون كل منها من ألف راكب، وكان جنود الحرس البرايتورى يختارون من الايطاليين ويتقاضون رواتب عالية.

- حرص على إرضاء الجنود فأدخل عام 13ق.م نظام المكافأة المالية بدلا من منح الجندي المسرّح قطعة أرض معينة.

3.2. في المجال الديني

اعتمد اغسطس عدة إصلاحات في الجانب الديني من أهمها:

- حرصه على التقاليد الرومانية، ومنها إعادة الحياة الدينية الرومانية إلى سابق عهدها، فاهتم بمجالس الكهنة، وأعاد النظر في لوائحهم، واتخذ لنفسه لقب عراف، فاعترف له الكهنة بهذا الاهتمام، فتغنوا باسمه في عبادتهم.

- قام بترميم المعابد والأماكن المقدسة وإصلاح ما هدمته الحروب، فرمم اثنين وثمانين معبدا ذات الحجم المتوسط والصغير بالإضافة إلى المعابد الكبرى مثل: معبد جوبيترالكابيتولي- وهو مركز عبادة الدولة الرسمية ومعبد الأم الكبرى(Magna

Mater)، كما كسب تأييد أتباع التيارات الدينية الجديدة، وعبدة الآلهة الوافدة من الشرق، بإقامة المعابد والمحاريب لربات الخير والرخاء والبركه مثل: مركوريوس (هرميس الإغريقي) رب الخير الوفير، واللاريس(Lares) ربات وراعيات الأسرة.

- إغلاق معبد اله الحرب يانوس (Janus) (Cassius,1848)، اله البوابات الذي يعتبر حسب الميثولوجيا أنه مثير وحاسم النزاعات والحروب والسلام.

وهكذا دعم أغسطس(Augustus)(27ق.م-14م) كل التيارات الدينية وجندها لتدعيم مركزه. و مهد لعبادته بأن جمع كل الاتجاهات الدينية في عبادة شخصه الإله "يوليوس قيصر"(Divuslulius)، وهو ما يؤكد مهارته في توظيف الدين لخدمة السياسة.

4.2. في المجال الاقتصادي

اهتم بإصلاح الاقتصاد فازدهرت التجارة والزراعة والصناعة ازدهارا بارزا، حيث ظهرت مبيعات واسعة ومتطورة ومدن صناعية مهمة كالإسكندرية، والمدن الكامبانية، بريتولي، بومبي.وتميزت الحياة الاقتصادية في عهده بميزتين هما:

- اهتمام السلطة بالجانب الاقتصادي، أكثر من الجانب السياسي.
- بروز مكانة ايطاليا كمركز هام في الحياة الاقتصادية العالمية.
- استعمل أسرى الحرب والعبيد في الأراضي الزراعية، الذي كان عددهم كثيرا حيث جلبوا من المقاطعات المحتلة مما زاد في تطور الإنتاج في روما.
- تطور وازدهار الصناعات التقليدية مثل صناعة الخزف، النسيج والخمر.
- إصلاح النظام الضريبي(الضريبة المباشرة وغير المباشرة) و تحديد النسبة مثلا: قدرت الضريبة الجمركية للغاليين بـ2.5%، وضريبة البيع بالمزايدة قدرت بـ1%، وضريبة بيع العبيد بـ4%.
- قام بإصلاح النقد ما بين الفترة 27 و23ق.م حيث استعمل معظم المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزنك.....الخ

وفي عام 14 م توفى الإمبراطور أغسطس أوكتافيوس(Octavius Augustus) وهو في السابعة والسبعين من عمره، وقد استطاع وهو في الرابعة والثلاثين من عمره بفضل كفاحه وذكائه أن يرسى دعائم إمبراطورية قوية عالية قدّر لها أن تبقى قرون من الزمان بعد وفاته بزمن بعيد، وظلت إصلاحاته وأفكاره الواجهة العظيمة للإمبراطورية

التي لم يستطع أحد على تغيير ما قام به من إصلاحات بحوالي ثلاثة قرون من بعده، حتى أعاد ديوقلسيانوس النظر فيها بعد أن تغيرت الظروف وساءت الأحوال مجددا.

3. إصلاحات ديوقلسيانوس(Diocletianus)

في ظروف صعبة كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية، إعتلي الإمبراطور ديوقلسيانوسعرش الإمبراطورية والذي سيعمل على إصلاح هذه الأوضاع بإدخال تغييرات جذرية على مختلف أجهزة الدولة وهي التغيرات التي سنتناولها بعد التعرض إلى شخصية هذا الإمبراطور.

- التعريف بديوقلسيانوس (Diocletianus)(384م-305م):ولدد يوقلسيانوسبدالماشيا (Dalmatia) حوالي عام 245م(Eutrope,1843)، وكان والداه عبدين في بيت أتيوس، أي كان عضوا في مجلس الشيوخ، ولم يكن ديوقلسيانوس يعرف بأي اسم غير هذا الذي اشتقه من مدينة صغيرة في دالماشيابديوقليا (Deocle)، من أب من سالونا(Salona) من إليريا على الآدرياتيك واسمه الحقيقي ديوقليس الذي غيره فيما بعد إلى كايوسفاليريانوسيونيوس(Caius ValeriusJoviusDioclitianus)، وبعد ما تم تحرير والده، تحصل الابن على وظيفة كاتب في الدولة، وعند وفاة الإمبراطور كلاوديوس الثاني(Claudius II) كان عمره خمسة وعشرين عاما حين إلتحق بالمدرسة العسكرية لإمبراطورية أورليانوس(Aurelianus)،وبروبيوس(Probius)، وسلك الابن طريق الجندية، وقد عرف كيف يكسب ثقة قادته، بحسن إدراكه، وحسن سيرته وقدرته في تنفيذ الأوامر بكيفية لائقة، وبفضل نبوغه وطموحه، ارتقى ديوقلسيانوس على التوالي إلى حكومة ماسيا (Moesie)(في البلقان)، إلى مرتبة القنصل ثم عين قائدا لحرس القصر الإمبراطوري.(Gonzague,1945)

ظهرت كفاءته العسكرية أثناء حرب فارس، وبعد موت نوميريانوس(Numerianus) (283م-284م)، عين ديوقلسيانوس خلفا له في منصب الإمبراطور على الشرق الروماني نظرا لما كان يتمتع به من مزايا(Gibbon,1983).

وهكذا أصبح ديوقلسيلنوس إمبراطورا على شرق الإمبراطورية الرومانية وذلك يوم 17 سبتمبر 284م(Duruy,1883)، إلا أن المنطقة الغربية بقيت تابعة للإمبراطور كارينيوس(Carinius)ابن كاريوس(Carius) الذي عرف بتصرفاته اللاأخلاقية التي أبعدت عنه كل الرجال وأصدقائه.(Vopiscus,1847)

قرر كارينيوس إخضاع ديوقلسيانوس، وبعد تحقيقه بعض الانتصارات الأولية، اصطدم الجيشان مجددا في موقعة مارقوس (Marcus) المصيرية في شهر مارس 285م، فأحرز ديوقلسيانوس انتصارا في المعركة، وذلك راجع إلى تخلي جيوش كارينيوس عن قائدهم، وانتهاز أحد الضباط الفرصة وقتله نتيجة مساسه بكرامة زوجته.

وهكذا تفرديوقلسيانوس بالحكم بدون منازع على الإمبراطورية الرومانية التي وضع لها برنامجا إصلاحيا إداريا، وفرض نفسه على الجهاز الحكومي، وفي مقاطعات العالم الروماني ككل.

وفي عام 305م اعتزل ديوقلسيانوس السلطة، وعمره تسعة وخمسون عاما،وتوجه إلى قصره بمدينة سالونا(Salona)، حيث تفرغ إلى الحياة العامة، وقد لقب بأب الأباطرة، كما أنه شهد انهيار النظام الذي رسمه وبناه " الحكم الرباعي " وما حققه من إنجازات من السلم والأمن، وعادت الفوضى من جديد وسفكت الدماء بين الأباطرة، وتعرضت زوجته برسيا(Prisea) وابنته فاليريا (Valeria) إلى النفي ومصادرة أملاكهماوهو على قيد الحياة، فكانت أيامه الأخيرة حزينة حيث كان يعاني من المرض الذي لازمه زمنا طويلا،وتوفي عام 313م(Chatagnole,1982).

1.3. الإصلاحات الإدارية:

1.1.3. الإصلاحات في الجهاز الحكومي

الحكم الثنائي(La Dyrarchie): واجه الإمبراطور ديوقلسيانوس الوضع المتأزم بالإمبراطورية بالحكمة والحزم، إذ رأى أنها محاطة من كل الجهات بأعدائها، فالقبائل الجرمانية الساكسونية استمرت في غاراتها المتتالية على سواحل بحر الشمال، والإفرنج ازداد نفوذهم على نهر الراين والدانوب، ومن الجهة الشرقية هناك أطماع الفرس المستمرة وكذا القبائل المورية بإفريقيا، فضلا عن أطماع بعض قواد الجيش للسيطرة على السلطة، تتطلب جميعا وجود قوة عسكرية كبيرة، يسهل انتقالها من موضع إلى آخر لقمع الأخطار في مهدها.(الحديثي، 1968)

وأدرك أنه لا يمكن له السيطرة بمفرده على أرجاء الإمبراطورية المترامية الأطراف، لذا رأى أن يقسم الإمبراطورية إلى قسمين شرقي وغربي يحكم كل منهما إمبراطور يضمن انتقال العرشبسلام، وتجنبا للفوضى، وإعادة السلم والأمن، وقع اختيارهعلى رفيقه

القائد العسكري المحنك ماكسيميانوس(Maximianus)في1ماي 285م وعينه حاكما للقسم الغربي، وأعطاه لقب هرقل(Heraclius)، وخلالهذه المناسبة أضاف الإمبراطور لنفسه لقب جوفيوس(Jovius) أي إله جوبتير وهي بداية تأليه الإمبراطور.(runciman,1939)

وهذا يبين لنا مدى قوة فكر ديوقلسيانوس، إذ يمثل هو فكر الإمبراطورية أما ماكسميانوس الملقب بهرقل فيمثل القوة والتنفيذ لأوامر ديوقلسيانوس، وهكذا كلف ماكسميانوس بإدارة غرب الإمبراطورية، واحتفظ ديوقلسيانوس بشرق الإمبراطورية.

وتم الحفل بمراسيم رفع ماكسميانوس إلى مكانة الإمبراطور في معبد جوبيتر، كما أدى قسم الدفاع عن الالتزام الذي رسمه ديوقليسيانوس. وهذا ما يؤكد لنا أن المركز الأول في حكم الإمبراطورية يعود إلى ديوقلسيانوس، فأصبح في الإمبراطورية إمبراطوران، ماكسميانوس خاضع لديوقلسيانوس الذي احتفظ لنفسه بالتشريع باسم الإمبراطورين.

وللاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية بقيت التشريعات موحدة، إلاَّ أنَّ الإهداءات وضرب السكة تكون باسم الإمبراطورين، وكل المشاريع والإنجازات التي ينجزها أحدهما إلا ويدون الاسم الآخر، فالإدارة مقسمة والحكم موحد، واسم ديوقلسيانوسكان يسبق اسم ماكسميانوس دائما.

- الحكم الرباعي(Tetrarchia):إن نظام الحكم الثنائي لم يحقق السلم والأمن المرجوان إلا نسبيا، لأن سعة الرقعة الجغرافية للإمبراطورية لم تسمح لهما بالتحكم فيها وأصبح الخطر يزداد يوما بعد يوم (Lemerle,1975)، مما دفع ديوقلسيانوس إلى عقد اجتماع في بداية عام 291م لإعادة النظر في تنظيم الدولة للمرة الثانية وكان ذلك بمدينة ميلانو.

ففي الشرق نجد القوة الفارسية تثير مخاوف الإمبراطورية، وفي الشمال اجتازت القبائل الجرمانية نهري الراين والدانوب. أما على المستوى الداخلي فبدأت بوادر استقلال المقاطعات تظهر شيئا فشيئا، فمصر في استعداد لإعلان استقلالها، بريطانيا سيطر عليها القائد كاروزيوس(Carausius)، والقبائل المورية في إفريقيا في تمرد مستمر. لهذا قرر ديوقليسيانوس إضافة إلى جانب الأباطرة شخصيتان مساعدتان برتبة قيصر، وبهذا تكون الإمبراطورية محمية ويسهل الدفاع عنها، وفي نفس الوقت حل

مشكلة ولي العهد فيما بعد، وبذلك أصبحللأباطرة الحق في اختيار ولي العهد والقضاء على اغتصاب الحكم. (petit Paul, 1974)

وعين الإمبراطور ماكسميانوسقسطنطينوسكلوروس (ConstantiusChlourus)قيصرا في فاتح مارس عام 293م أمام الجيش، وقام بالمثلديوقلسيانوس إذ عين جاليريوس (GaleriusMaximianus) قيصرابعاصمته نيقوميديا(Nicomedia) في 21 ماي 293م.

والملاحظ أن هؤلاء الحكام الأربعة كانوا يعتبرون كحاكم واحد يحكم إمبراطورية واحدة، وكانت القرارات تصدر باسمهم جميعا، هذا وقد وزع السلطة العليا بين حكومة رُباعية مع تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقسام كبرى تعرف باسم(Préfecture) وهي ايطاليا، غالة، وإليريا، والشرق، ومن هذه الأقسام قسمت إلى وحدات إدارية صغيرة لتسير إدارة الدولة وفرض السلطة المركزية.

احتفظ ديوقلسيانوسبإدراة الشرق الروماني بما فيه مصر، ليبيا والجزر وتراقيا واتخذ مدينة نيقوميديا عاصمة له قرب بحر مرمرة حيث يراقب تحركات الشعوب على ضفاف نهر الدجلة ونهر الدانوب السفلي، أما نصيب جاليريوس فكانت مقاطعات الدانوب والليريا بما فيها مقدونية، بلاد الإغريق وكانت عاصمته سرميوم (Sirmium) مركز في الهضبة الوسطى لدانوب.

أما ما يخص غرب الإمبراطورية، فكانت كل من إيطاليا وإسبانيا تحت نفوذ ماكسميانوس وعاصمته مدينة ميلانو، و قسطنطينوس اتخذ بريطانيا وبلاد غالة وعاصمته مدينة تريفس (Treves).

وقد تمكن هذا النظام من تحقيق نتائج إيجابية، إذ أعاد هيبة الإمبراطور وقضى على آمال المغتصبين، كما استرجعت بريطانيا عام296م، ووضع حدا للاستفزازات الجرمانية على نهر الرين، حيث قتل حوالي 60000 من الألمان، وأخضع ماكسيميانوس القبائل المورية بإفريقيا 298م، وأخضع ديوقلسيانوس مدينة أشيل(Achille) بالإسكندرية(مصر) عام296م بعد حصار دام ثمانية أشهر، كما انتصر جاليريوس على الفرس عام297م.(Eutrope, IX,15)

2.1.3. الإصلاحات الإدارية في المقاطعات والدوقيات

لم يكتف الإمبراطور بإصلاح الجهاز الإداري للدولة فقط، بل اتخذ عدة إجراءات كفرض عبادة الإمبراطور، وجعله مصدر القوانين الرومانية، وكذا فصل السلطة

العسكرية عن السلطة المدنية، وفصل الحكومة المركزية عن حكومة الأقاليم، وجرد مجلس الشيوخ من معظم صلاحياته، وخضعت كل الإدارة لإشراف الإمبراطور مباشرة وأضحى بذلك في قمة سلسلة الوظائف الحكومية. (العربي ،1965)

وبعد أن قسم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم كبيرة، تعرف بالولايات كما ذكرنا، أدى إلى تقسيم هذه الولايات إلى إثنتى عشر(12) وحدة إدارية، تعرف باسم الدوقيات (Dioceses)، تجمع تحت سلطتها عدة مقاطعات، يحكمها فارس برتبة وكيل (Vicarius)، وهذا المنصب الجديد يعتبر همزة وصل بين المقاطعات والحكومة المركزية المتمثلة في الإمبراطور، فحكام المقاطعات مرتبطون بحكام الدوقيات التي تقدم إليها التقارير، ويفيدها بالأوامر التي يتلقاها من الحكومة المركزية قصد تطبيقها في المقاطعات.

وتتمثل هذه الدوقيات، ستة(06) منها في شرق الإمبراطورية والستة(06) بغرب الإمبراطورية وهي كالتالي:

- دوقيات الشرق(Diocèses Orientis):

- دوقية الشرق:تشمل كل من مصر، سوريا، بلاد النهرين.

- دوقية بونتيكا: وتشمل شمال وشرق أسيا الصغرى.

- دوقية آسيا: تشمل كل من غرب آسيا الصغرى والجزر.

- دوقية تراقيا: تنحصر ما بين منطقة رودوب(Rhodope) وأسفل الدانوب اي البحر.

- دوقية مقدونيا: تشمل على منطقة دانوب الأوسط

- دوقية بانونيا: تشمل منطقة غرب إلليريا.

- دوقيات غرب الإمبراطورية:

- دوقية بريطانيا (Brittamiarum):تشمل بريطانيا حاليا.(والتي انقسمت وقتذاك إلستة أقاليم).

- دوقية بلاد غالة(Galliarum): تشمل شمال فرنسا.

- دوقية إيطاليا(Italiana): كل أراضي إيطاليا وسهل البو.

- دوقية فيناسيس (Viennensis): جنوب فرنسا.

- دوقية إسبانيا (Hispanarum): تشمل موريطانيا من إفريقيا وجزيرة إيبرية.

- دوقية إفريقيا: شمال إفريقيا(العريني،1968).

ثم جرى تقسيم هذه الدوقيات إلى مقاطعات(Provinces)، بلغت مائة(100) مقاطعة، متقاربة في المساحة، ويتولى على كل واحدة منها حاكم (Judex)، وكل هؤلاء مختارون من المدنيين، ويوجد إلى جانبهم فئة من القادة العسكريين(Duces)، والمعروف أن موظفي البلديات من الملاك الإقطاعيين، فصاروا خاضعين لحكام الأقاليم، الذين تضبطهم الحكومة المركزية عن طريق عمالها (Vicarii).

وبذلك أصبحت الإدارة المركزية مركزةفي هيئة من الموظفين، وتنتهي سلطتهم عندما تصل إلي يد الإمبراطور ومجلسه، والذي يتكون بدوره من قادة الجيش، وحاكم أركان الجيش، موظفين سامين من ممثلي جهازالعدالة، ممثلين من الجهاز المالي، وأخيرا ممثلين عن تنظيم القصر من بينهم حراس القصر، وموظفين تابعين لشخصية الإمبراطور.

2.3.الإصلاحـات العسكريـة

أما في ما يتعلق بالجيش وتنظيماته، فقد أدخل ديوقلسيانوس إصلاحات كبرى حيث فصل السلطتين المدنية والعسكرية،لإعداد العدة وتقوية الوحدات المرابطة على الحدود، وإيجاد وحدات متحركة لاستخدامها في قمع أية محاولة للقيام بفتن داخلية، ولمواجهة الأخطار الخارجية، وحراس الحدود قوة متنقلة يمكنها أن تتوجه لنجدة أية ولاية يهددها خطر الغزو، كما منح القوات الحدودية أراض يمكن أن يتوارثها الأبناء. وكان الابن ملزم بأن يأخذ مكان أبيه، في وراثة الأرض، وفي مسؤولية الدفاع كجندي من جنود الحدود، إذ أصبح من الضروري تقديم المجندين واجبا ضريبيا بالنسبة لملاك الأراضي، إلا أنها فيما بعد عوضت نقدا وذلك لعدم وجود يد عاملة كافية لخدمة الأرض، وهذا يتناقض مع سياسـة الإمبراطورية، فجعلت المداخيل الضريبية تصرف في جلب المجندين البرابر(Remondon,1973).

ومن الجهود المبذولة في البناء للدفاع عن الحدود، فإذا كان الراين والدانوب يشكلان حدودا طبيعية بالنسبة لأوروبا، يمكن الدفاع عنها،غير أن المناطق المعرضة للخطر كصحاري إفريقيا الشمالية والشرق الأدنى، دفعت بديوقلسيانوس إلى بناء الحصون،

وإقامة طريق حربي متين، من دمشق إلى أعالي الفرات، عن طريق تدمر، ومد المعاقل وأبراج المراقبة على الطريق الممتدة من البتراء إلى قرقيسيا(نهر الفرات) عن طريق تدمر.

وقد أعتمد على الفرق المؤلفة من البرابرة المرتزقة في حماية الإمبراطورية، وجعل مراكزهم قرب عواصم الحكام الأربعة حتى يكونون على استعداد في الدفاع عنهم، وقد ازداد عدد أفراد الجيش في عهد ديوقلسيانوس، الذي كان لا يتجاوز 300.000 ارتفع إلى 400.000أو 500.000 مقاتل كأقصى حد، كما أصبح الطريق مفتوحا أمام الجندي ليرتقي ويصبح ضابطا، ثم يتدرج في مختلف درجات القيادة حتى يصل إلى مرتبة القائد الأعلى للجيش.

أما قيادة الجيوش فقد أسندت إلى قادة عسكريين (Duces) خاضعين مباشرة إلى حاكم أركان جيش الإمبراطور، وكل قائد عسكري له وظيفتين، وظيفة الدفاع عن حدود الإمبراطورية في جهة ما (Albertini,1970)، وفي نفس الوقت قائد حرس الإمبراطور (le préfet du prétoire)، إلا أنه عزل فيما بعد عن حرس الإمبراطور وذلك بنقل العاصمة خارج مدينة روما، وبالتالي ضعف نفوذه. (Bloch,1922)

وازداد عدد فرق الخيالة لأهميتهم، والدافع إلى ذلك يكمن في الفرس الساسانيين الذين كانوا يعتمدون على الفرسان في حروبهم، حيث كانوا يمثلون خطرا رئيسا للإمبراطورية الرومانية الشرقية باعتبار الفرس ورثة الأخمينيين ومحاولة هذه الأخيرة في استرجاع أراضيها، وهذا ما دفع بهم إلى الاهتمام بفرسانهم، خاصة وأن الشرق هو المركز الحيوي الاقتصادي والغني بثرواته، لذا أصبحت الحرب مع الفرس من أهم الجوانب السياسية والعسكرية في الإمبراطورية.

تألف الجيش من ثلاث فئات: فئتان من الحرس الإمبراطوري، كانتا مسؤلتين عن حماية شخص الإمبراطور، ثم جيش مستعد لأن يسير لقمع أي فتنة، أو تمرد، أو خطر، يضاف إلى ذلك جيش الحدود الذي يبلغ 250 ألفا من المشاة، و11 ألفا من الخيالة، أما الجيش الثابت، فكان عدده 150 ألفا من المشاة، و46 ألف من الخيالة معظمهم من الجرمان. والملاحظ أن معظم الجيش كان من البرابرة الجرمان، وقد ازداد عدد المرتزقة واكتسح العنصر البربري أكثر فأكثر في القرن الرابع طبقة القادة والحرس الإمبراطوري.

ويمكننا القول أن في هذه الفترة من التاريخ الإمبراطورية الرومانية الشرقية كان يتقاسم قيادة الجيش خمسة قادة مسؤلين مباشرة أمام الإمبراطور، الذي كان القائد الأعلى للجيش. (عاقل،1970)

3.3. الإصلاحات في المجال المالي والضرائب

قام ديوقلسيانوس بإصلاح نظام المالية والضرائب فقام بإحصاء الأراضي الزراعية في الإمبراطورية وتحديدها، لفرض الضرائب بصورة عادلة. وكان موفقا في محاولته لإصلاح النظام الضريبي، فحسب منهجه في توحيد نظم الإمبراطورية اخضع جميع الولايات لنظام ضرائبي جديد بدلا من النظم المتعددة المختلفة التي كانت من قبل. ويتلخص النظام الجديد في فرض ضريبة مزدوجة جديدة على الأفراد والأرض بقدر متساو في كل أنحاء الإمبراطورية، فنقص اليد العاملة الزراعية أدى إلى وجود نظام هام في الإصلاح المالي، ويعود أصله إلى مصر في عهد البطالمة. حيث أجبر كل الملاك الخواص أصحاب الأراضي بدفع الضرائب، وفي نهاية القرن الثالث تم تطبيق النظام على كافة أراضي الإمبراطورية، وحتى على الأراضي المهملة، التي تنتمي إلى الخواص.(Ostragodky,1977)

ولحماية الفقراء من جشع المستغلين والمتاجرين، تم تحديد كميات البضائع المتداولة التي تعرض للبيع من جهة، وتسعير الحاجيات الأساسية والأجور من جهة ثانية، ففي سنة 301م أصدر مرسوم " الحد الأقصى"(Limito) يقضي بتثبيت أسعار السلع الضرورية والخدمات. وحين قاوم التجار هذه التشريعات حاول تطبيقها بقسوة، غير أنه فشل واختفت السلع من الأسواق.

أما بالنسبة للعملة فقد عمل منذ 294م على إقامة نظام نقدي، حيث أصدر عملة جديدة ذهبية وهي الأساس، بالإضافة إلى الدينار الفضي والبرونزي القديم بعد أن أدخل على وزنه بعض التعديلات (العبادي، 1981)، وكان الهدف منع تدهور قيمة العملة التي كانت في الحضيض في القرن الثالث، حيث نزلت إلى الصفر، وميزة النقد الجديد هو أن صار النقد الذهبي(aureus) يساوي واحد من الليرة الذهبية، بينما صار النقد الفضي الجديد(argenleus) يطابق في كل شيء ما عدا الإسم، ما كان معروفا زمن نيرون باسم(denarius) والذي يعتبر أصغر وحدة في النقود ويساوي 96/1 من الليرة الذهبية.(Remondon,1937)

كما سك العملات الصغيرة في ثلاث فئات: الفئة الأولى المعروفة بالفلس (Follis) وهي أثقلها وزنا، وتزن 150حبة. أما الفئة الثانيةفكان وزن الواحدة منها ستون حبة. وتزن الفئة الثالثة عشرين حبة.إلا أن عالم التجارة رفض هذه العملات فأدى إلى ارتفاع الأسعار من جديد.

لكن هذا القانون لم يحقق الغاية المرجوة التي كان يهدف إليها ديوقلسيانوس، فلم تلبث أن انخفضت قيمة الفلس، فأدخل قسطنطين نظاما جديدا في سنة 324م، فالنقد الذهبي الجديد والمعروف باسم الصولد (Solidus)كان أخف وزنا من نقد ديوقلسيانوس(يزن 4غ و48 من الذهب) ويقدر قيمته 72/1 من الليرة الذهبية، وحل مكان النقد الفضي نقد آخر اسمه(siliqua)(يزن 2غ و24 من الصولد) يساوي 24/1 من الصولد(Ostragorsky,1977)، أما الميليارنز (miliarense) فكل 14 منها تساوي صولدا، بينما الفلس يساوي عشر السيلكوا. واستعمل عملة برونزية واحدة بدل الثلاثة التي سكها ديوقلسيانوس.

وقد حظي نقد قسطنطين الذهبي بسمعة في العالم الخارجي، وأضحى عياره مقبولا، وذلك راجع إلى ما يحتويه من الذهب وإلى الإنتصارات التي أعادت مجد الرومان القديم، وهكذا احتفظ بقيمته لمدة ثمانية قرون.

4.3.الإصلاحات الدينية

في القرن الثالث الميلادي أصبح العالم الوثني يتجه رويدا إلى التفكير في عبادة إله واحد. وكان باعتراف أورليان(Aurelianus) (270-275م) رسميا بعبادة الشمس، ونظرا لأهمية الديانة الواحدة وما يترتب عنها من نتائج سياسية هامة، تولى ديوقلسيانوس بنفسه تقديم القرابين لآلهة المتعددة، رغم أنه اختص بعبادة الإله جوبيتر.

وقد اقترنت شخصية الإمبراطور بالإله جوبيتر(Jupiter) كما أشرنا سابقا، باعتباره ابن الإله، وهذه الصفة جعلت الشعب الروماني يقوم بتقديسه وعبادته، ولكن الجديد عند ديوقلسيانوس أنه نظم عبادة شخصه بإحداث شعيرة لعبادته، ليتوافد الشعب

إليها، وهذه العملية تخضع للقوانين التي يجب إتباعها في وقت العبادة كالرّكوع، وتقبيل ثياب الإمبراطور (Besnier,1937).

وقد ترتب عن تعلق ديوقلسيانوس بالعبادات القديمة في روما وبلاد اليونان، كراهيته للمعتقدات الجديدة، التي تفسد إيمان رعاياه وولائهم، وتضعف وحدة الإمبراطورية. فأنكر عبادة المانوية التي كان الفرس يدينون بها، حتى لا تتسرب إلى أراضي الإمبراطورية.

وأشد ما لقي ديوقليسيانوس من مشاكل، مشكلة الكنيسة المسيحية، لا لأنها تعبد إلها واحدا فحسب بل لأنها ترفض العقيدة الإمبراطورية، وبذلك خيرت رجالها بين الإخلاص للمسيح أو الإخلاص للإمبراطور، وأكثر من تأثر بالمسيحية الضباط في الجيش الروماني.

وهذا ما جعل ديوقلسيانوس يغير سياسته اتجاههم، فأصدر حوالي سنة302م قرارا يقضي بمصادرة جميع أملاك الكنيسة، وحرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية، كحرمانهم مثلا من المواطنة الرومانية، والاشتغال بالوظائف الإدارية، وصار ممنوع عتق الأرقاء المسيحيين، وأجاز تدمير الكنائس المسيحية وإحراق الكتب المقدسة، ومنعهم من إقامة شعائرهم، وفرض عليهم تقديم القرابين لآلهة الوثنية، واضطهد بعنف شديد حتى سمي بسفاح المسيحيين.

وزاد ديوقلسيانوس في التنكيل بالمسيحيين سنة 304م، حتى تخلى كثير منهم عن عقيدتهم، مما أدى إلى إضعاف وحدة الكنيسة وتشتت شملها.

خاتمة

نستنتج مما ذكرنا أن الإمبراطورية الرومانية رغم الأزمات والحروب التي مرت بها إلا أنها في النهاية استطاعت أن تبني لنفسها مكانة على المستوى العالمي حيث توسعت في المناطق الداخلية والمناطق الخارجية، وذلك بفضل إصلاحات أغسطس التي من خلالها استطاع أن يعيد السلام والأمن في ربوع الإمبراطورية الرومانية، حيث تحسنت في عهده المواصلات وازدهرت التجارة، وأصبحت مصر مركزا لهذا النشاط التجاري، وازداد الرخاء وعم الاستقرار بعد الاضطرابات والفوضى التي جلبتها الحروب الأهلية

الرومانية، وأصبحت الإمبراطورية لها مكانة وقوة يحسب لها ألف حساب دامت لقرون.

وفي أواخر عهدها توالت عليها عدة أزمات اعتصرتها و ساقتها إلى حافة الضياع، إلا أن الجهود التي قام بها ديوقليديانوس(384-305م) وأكملها الإمبراطور قسطنطين(306-337م) من إصلاحات هامة في المجال السياسي والإداري، والاقتصادي، والاجتماعي، والفني، والعقائدي، بعثت الحياة في الإمبراطورية من جديد ومكنت لها في الأرض فترة امتدت أحد عشر قرنا من الزمان تحت اسم الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو (البيزنطية) وعاصمتها الجديدة القسطنطينية فأصبحت بذلك وريثتها.

كما أن القادة الرومان الثلاثة سجلوا نقاط تحول في تاريخ الإمبراطورية الرومانية بفضل إصلاحاتهم،التي تعتبر عبارة عن منعرج تاريخي هام في الحياة السياسية للإمبراطورية الرومانية، أولا القائد يوليوس قيصر حيث أدت أعماله التي مست معظم الجوانب السياسية بالدرجة الأولى إلى انهيار النظام الجمهوري، ومهد بذلك الطريق لظهور النظام الإمبراطوري الذي أنشأه غايوساوكتافيوس من خلال قيامه بعدة إصلاحات في شتى الجوانب السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية، الذي استطاع بفضل ذكائه وكفاحه أن يرسى دعائم إمبراطورية رومانية قوية، قدر لها أن تبقى قرون من الزمان، حتى احدث القائد ديوقلسيانوس تغييرات جذرية في مختلف أجهزة الدولة اثر أزمات، وأكملها قسطنطين ببعث إمبراطورية جديدة، هي الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

المصادروالمراجع

1. ابراهيم أيوب، 1996. التاريخ الروماني، المؤسسة العربية الحديثة، لبنان .
2. أحمد غانم حافظ،2007. الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
3. الباز العريني،1965. الدولة البيزنطية323-1081م، دار النهضة العربية،القاهرة .
4. الباز العريني، 1968. تاريخ أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية،بيروت .
5. بيتي راديس،2008. فتح بلاد الغال، يوليوس قيصر، ترجمة علي زيتون، دار علاء الدين، دمشق.

6. سعيد عبد الفتاح عاشور،(ب. ت). تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية.
7. سيد احمد علي الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي، ط2، دار النهضة العربية.
8. طه باقر، فوزي رشيد، رضا جواد هاشم، 1979. تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد.
9. عمر كمال توفيق،1995. تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، مصر.
10. على عكاشة،(991. اليونان والرومان، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، سوريا.
11. قحطان عبد الستار الحديثي،1968. صلاح الهادي الحيدري، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، مطبعة جامعة، البصرة.
12. مصطفى العبادي،(1981. الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية،بيروت.
13. نبيه عاقل، 1970. الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، مطابع ألف باء الأديب، دمشق.
14. Albertini Eugene,1970. l'Empire Romain, èd. Presse universitaire de France, Paris.
15. Besnier Maurice, 1937. Histoire Romaine: l'Empire Romain de l'Avènement des Sévères au Conseil de Nicèe, Tome IV, Edition: Puf, Paris.
16. Bloch Gustave, 1922. l'Empire Romain, Evolution et Décadence, Edition : Ernest Flamerien, Paris.
17. Chatagnole André, 1982. L'évolution politique, sociale et économique du monde romain de Dioclitien à Julien :la mise en place du régime du Bas Empire(284-363),éd. De l'enseignement supérieur, Paris.
18. Danièle et Yves roman, 2000. Rome de la république à l'empire IIIs. av-j.cIIs.ap-jc, éd.Ellipses, Paris.
19. Dion Cassius, 1948. Histoire romain de Dion Cassius, T3, Trad. R. Gros, Librairie de Firmin Didot Frères, Paris.
20. Duruy Victor, 1883. Histoire des Romaines: depuis le temps les plus reculés, jusqu'à l'invasion Barbare, tome VI," de l'avènement de commode à la mort de Dioclitien, éd. Hachette et Cie, Paris.
21. Eutrope F., 1843. livre1, Abrégé de l'histoire Romaine, trad. N.A. Dubois, éd. C.L.F. Panckoucke, Paris.

22. Gibbon Edouard, 1983. Histoire du Déclin et de la chute de l'empire Romain, Rome de 96à582, trad. de l'anglais par M.F.Guizot, éd. Robert Laffont, S.A, 1ère édition, Paris.
23. Gonzague De Reynold, 1945. L'Empire Romaine, La formation de l'Europe, éd. Egliof, Paris.
24. Lassère J.-M., 1998. Africa Quasi Roma25av-jc-711apr-jc, CNRS éditions, Paris.
25. Le glay Marcel, 1990. Rome, Grandeur et déclin de la république, Tome1, éd. Perrin, Paris.
26. Le merle Paul, 1975. Histoire de Byzance, éd, P.U.F, Paris.
27. Ostrogorsky G., 1977. Histoire de l'état byzantine, T. Jgouillard, préf. De paullemerle, éd. Payot, Paris.
28. Perrin Yves, 1997. De la cité à l'empire, Histoire de Rome, éd. Ellipses, Paris.
29. Petit Paul, 1974. Histoire Générale de l'empire Romain le Bas-Empire (284-395), T.3, éd. Du seuil, Paris.
30. Remondon Roger, 1973. La crise de l'empire romain de Marc-Aurèle à Anastase, éd. presse universitaire de France, Paris.
31. Runciman Steven, 1939. La Civilisation Byzantine 330-1453, tra. E.J. Lévy, Payot, Paris.
32. Stien Ernest, 1959. Histoire du Bas-Empire: de l'Etat Romain à l'Etat Byzantin: 284-476, Tome1, éd. Declée de Bronwer, Paris.
33. Vopiscus Flavius, 1847 .Histoire d'Auguste, traduction Nouvelle par M.M.E.taille Fert, Jules Chenu, Tome2, édition: C.L.F, panckoucke, Paris.